البعد التفاعلي في تسمية المساجد وتحديد أنواعها.

Title: The interactive dimension in naming mosques and determining their types.

عدنان مهنديس

(دكتوراه في تخصص الدراسات الإسلامية)

كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس المغرب

البريد الإلكتروني: mhndysdnan@gmail.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2019/11/05	2020/04/09	2020/06/01

ملخص المقال باللغة العربية:

يعتبر البحث في موضوع المساجد لا يخلو من إثارات ومعالم تفاعلية لها ارتباطات متعدّدة ومختلفة الجوانب ذات الصّلة بالإنسان باعتباره المستهدف الأول من هذه الرسالة المسجدية، ولعل اعتبارات كثيرة قد تحكم قضية تسمية المساجد، منها: الاعتبار المتعلّق بما جرى في ذلك المسجد من حدث، أو التاريخ الذي شهد تشييد هذا البناء، أو تأثير المكان الذي يحتضنه، أو تأثير علم او شخص معين مشهور في أنشطة ذلك المسجد وتسييره...، كما أن تحديد نوع المسجد قد تحكمه اعتبارات عدة، على رأسها: الاعتبار المتعلق بما يؤدى فيه من شعائر، أو اعتبار حجم التجمع الذي يشهده، أو الغرض الرئيس الذي من أجله تم إنشاؤه بغض النظر عن الأغراض الشرعية الرسالية المحددة أصالة.

الكلمات المفتاحية: مسجد–تسمية–أنواع–تفاعل.

Abstract:

The research on the issue of mosques is an interesting one in the sense that it has interactive features with multiple connections and many dimensions related to people as the primary goal of this message. However, many other considerations may govern this issue including the consideration of the events that happened in that mosque, or the date it was built or the influence of the surrounding area or the influence of a famous person in the functioning and activities of that mosque….In addition to this, determining the type of mosques may be governed by other considerations : firstly, the worship aspect. Secondly, the number of attendees. Thirdly, the main objective behind its creation regardless of the main purposes it was created for, namely the worship(Key words: mosque-naming-types-interaction).

- **نص المقال:**
- **مقدمة:**

بسم الله الرحمان الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين،

لا شك أن البحث في موضوع المساجد لا يخلو من إثارات ومعالم تفاعلية لها ارتباطات متعددة ومختلفة الجوانب، وهي ارتباطات ذات الصلة بالإنسان باعتباره المستهدف الأول من هذه الرسالة المسجدية، ومن هنا؛ انبنت عندي إشكالية تثير لدي فضولا للبحث والتنقيب حول هذه الإثارات فيما يتعلق بتسمية المسجد أولا، وفي تحديد أنواعه ثانيا، حيث إن مجموعة من تعاريف الدارسين والباحثين لمفهوم هذه

المؤسسة تجنح إلى الاستطراد في بيان أنواعها؛ كما أن مجموعة من المراجع المنصبة حول هذا الموضوع في جوانبه الوصفية تتجه نحو الحديث عن تسميات مجموعة من المساجد، من هنا؛ وضعت إشكالية هذا المقال والتي تتمثل في رصد اعتبارات التسمية وتحديد أنواع المساجد، وذلك بقياس مدى حضور الأثر التفاعلي فيها، ولمحاولة مقاربتها؛ فاخترت المنهج الوصفي آلية لتجلية العناصر المعرفية لعنصري المقال، مستندا في ذلك على مجموعة من المصادر والمراجع ذات الصلة المباشرة بالموضوع البؤرة، وبعد معالجة العنصرين المكونين لصلب المقال؛ ختمت بخاتمة سجّلت فيها أهم النتائج التي أسفر عنها هذا العمل.

- **العنصر الأول: العناصر التفاعلية لتسمية المسجد.**

إن عنصر التسمية في المسجد وإطلاق اسم علم معين عليه ليس أمرا اعتباطيا يحصل بالصّدفة، بل إن عنصر القصد وعوامل التأثير والتأثر سمات بارزة في نشوء تلك التسمية، والذي يعنيني من هذا العنصر بالأصالة هو إثارة نماذج من الجوانب التّفاعلية لهذه التسمية؛ لا ادّعاء استقصاء جميع عوامل التسمية، لأن هذا من الصعب أن يحققه مطلب واحد فقط من البحث، ثمّ إن الاستغراق في مثل هذا النوع من المباحث قد يخرج البحث عن أهدافه الوظيفية المُسطّرة، أو يشرد به عن موضوعه الرئيس، فحسبي بذلك ما ذكرت ...

قد تتفاعل في تسمية مسجد معين مجموعة من المتغيرات، من أهم ذلك:

–تأثير **الحدث** بشكل قوي، فيسمّى المسجد على حدث معين لصيق به، وخير مثال لذلك مسجد **القبلتين**، فقد سمّي المسجد بهذا الاسم على وجه الخصوص تأثرا بالحدث التاريخي التشريعي البارز الذي حدث فيه؛ ألا وهو تغيير القبلة التي يتوجه إليها المسلمون في صلاتهم، حيث تحولت القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام، تأويلا فعليا نبويا من خلال قوله تعالى: "**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ**

عَمَّا يَعْمَلُونَ" (سورة البقرة: الآية 144)، حيث ذكر الزمخشري (538هـ) حول هذا المسجد أنّه كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين، ورسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر، فتحوّل في الصلاة واستقبل الميزاب، وحوّل الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال، فسمى المسجد مسجد القبلتين[1]، و يكشف لنا هذا التحديد الذي أبرزه الزمخشري وجها آخر من أوجه التّسمية؛ ألا وهو التسمية بالحي الذي يتواجد فيه المسجد أو التأثر بعنصر المكان في عملية التسمية، إذ يُصوّر لنا الصحابي الجليل البراء بن عازب هذا **التحول في القبلة** داخل المسجد، فيقول: [كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى نحو بيت المقدس، ستة عشر أو سبعة عشر شهرا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله: {قد نرى تقلب وجهك في السماء} (سورة البقرة، الآية 144)، فتوجه نحو الكعبة "، وقال السفهاء من الناس، وهم اليهود: {ما ولّاهم} (سورة البقرة: الآية 142) عن قبلتهم التي كانوا عليها، قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رجل، ثم خرج بعد ما صلى، فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس، فقال: هو يشهد: أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه توجه نحو الكعبة، فتحرف القوم، حتى توجهوا نحو الكعبة][2].

ومن أمثلة تأثير الأحداث في تسمية المساجد كذلك تسمية مسجد **البيعة** تأثّرا بحدث بارز في السيرة النبوية ألا وهو بيعة العقبة، تقول الدكتورة سعاد ماهر في شأن هذا المسجد: 'وتجمع المراجع التاريخية التي تناولت دراسة مكة المكرمة والمسجد الحرام على أن مسجد البيعة سمي بهذا الاسم لوقوعه في شعب العقبة، حيث التقى الرسول صلى الله عليه وسلم مع أهل يترب من قبيلتي الأوس والخزرج، وتمت البيعات الثلاث على تفصيل ما سبق'[3]، وللإشارة فليست كل الأحداث الزمنية كانت حاضرة في تسمية المساجد، وإنما المقصود بذلك إبراز الأحداث الذي حولت من مجريات التاريخ وكانت لها أثر وظيفي في صنع وقائع حاسمة على المستوى البناء الحضاري للأُمّة؛ وذلك في ارتباط وثيق مع المسجد الذي يمثل مركز الحضارة

الإسلامية بامتياز، كما أن عنصر المكان يتداخل كذلك في التمثيل لتسمية هذا المسجد، إذ الزائر لهذا المكان سيجد نفسه بالقرب من مكان وازن على المستوى التاريخي في السيرة النبوية.

ولا يفوتني كذلك ذكر مسجد سمي بحدث هام على المستوى التاريخ التشريعي، ألا وهو مسجد **الجمعة**، وهو المسجد الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أول جمعة في تاريخ المسلمين، حينما قدم من قباء متوجها إلى المدينة النبوية، ويقع هذا المسجد في بني سالم، ونظرا لمكانته وأهميته التاريخية الدينية؛ فقد أعيد بناؤه وترميمه عدّة مرات[4]، وهناك أيضا مسجد سُمّي في السيرة على إثر حدث روحي هام، وهو مسجد **الإجابة وهو مسجد بني معاوية**، حيث دعا فيه النبي صلى الله عليه وسلم بدعاء واستجيب فيه دعاؤه، فنسب إلى هذا الحدث، روى الإمام مسلم بسنده عن عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ذات يوم من العالية، حتى إذا مر بمسجد بني معاوية؛ دخل فركع فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا ربه طويلا، ثم انصرف إلينا، فقال صلى الله عليه وسلم: **((سألت ربي ثلاثا، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي: أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها))**[5].

–تأثير **المكان** في تحديد مسمى المسجد، وقد سبق شيء من الإشارة حين التطرق للتّأثير السابق، وأضيف لذلك شواهد حيّة من المساجد المغربية، فقد جاء في ذكر بعض تسميات مساجد تطوان التنصيص على اسم مسجد جامع القصبة، وذلك لأنه مسجد بني في القصبة التي أقامها القايد أبو الحسن علي المنظري[6]، فنُسِب إلى المكان لقوة تأثيره التفاعلي في التسمية، ولم ينسب إلى الشخص الذي بناه رغم مكانته السياسية والاجتماعية، ومن الشواهد كذلك على هذا النوع من التأثير ما ورد في تسمية مساجد مدينة الصويرة، ومنها مسجد الشّبانات حيث يُعرف باسم الحي الذي شيّد فيه هذا المسجد[7]، ومن تسميات مسجد الجمعة الذي ذكرته في العنصر السابق مسجد **بني سالم** نسبة إلى الحي الذي يوجد فيه

وهذا من تأثير الأمكنة في عنصر التسمية، مع أنه لا يقصد بالتسمية هذه بالإضافة إلى اسم حي معين ما يدل على التّمليك أو الاختصاص؛ وإنما هو مجرد التعريف والتمييز، ولذلك يقول الإمام الزركشي (794هـ) مزيلا هذا اللبس: 'كره النخعي وكثير من السلف أن يقال: مسجد بني فلان، لأن المساجد بيوت الله والمشهور الجواز، وقد ترجم له البخاري وأورد فيه حديث ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق، وليست الإضافة هنا للملك وإنما هي للتمييز ومثل ذلك لا يمتنع'[8].

ومن شواهد تأثير المكان في تسمية المساجد **جامع الزيتونة أو الزيتون**، حيث فصل بعض الباحثين في موضوع تسمية الجامع بالزيتون، وذكروا أنّ التسمية لها علاقة بأشجار الزيتون وكثرتها والتي تشكل قيمة غذائية ومعنوية لسكان المغرب العربي، كما أنها شجرة مباركة ورد ذكرها في القرآن الكريم مع وصفها بذلك[9].

وبالتالي؛ فالتسمية باعتبار عامل المكان قد تتمُّ بالنظر إلى أصحاب المكان أو الحي، وقد تتمّ بالنظر إلى بعض مكونات أو خصائص ذلك المكان، وعلى العموم؛ فعنصر المكان حاضر بقوة في كلا الأمرين من التسمية.

-تأثير **الأشخاص والأعلام** في تسمية المسجد، وذلك عن طريق تسمية المسجد باسم من بناه أو وهب الأرض التي بني عليها ذات المسجد، أو تسميته بشخص علم كان له الفضل في ظهوره على الساحة العامة من خلال نشاطه العلمي أو إمامته فيه، أو تسميته باسم علم سبق وأن صلى فيه أو جرت له فيه واقعة معينة وبقيت شهيرة على مرّ التاريخ.

فالمسجد العبّاسي-على سبيل المثال-مسجد منسوب لحبر الأمّة الصحابي الجليل عبد الله بن عباس، وهو الموجود بالطائف في محور ومركز البلد، يقال على أنه هو الذي بناه، وقد ذكره البعض ضمن مساجد رسول الله صلى الله عليه وسلم[10]، إلا أن هذا المسجد يقول عنه ابن فهد في التحفة أنّه ليس به جمعة ولا

جماعة، والظاهر أنهما كانا فيه قديما لوجود المنبرية فيه[11]، أي أنه قد نفهم أن هذا المسجد ليس به عمارة في الوقت الحاضر، وقلت في هذا المسجد أنه منسوب لابن عباس؛ لأن بعضا ممن خصّه بالدراسة الأثرية لم يقف على خبر قوي يجزم ببنائه لمسجد الطائف، ولذلك يقول الأستاذ فريد امعضشو: 'سوى أنني لم أقف على سبب تسمية هذا المسجد باسم حبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه في خبر يعتمد عليه أو يستأنس به، أو قد يجوز أنه أعاد تعميره في بعض السّنين من إقامته بالطائف فبناه، فنسب إليه وهو راجح ومقبول، أو سمي به المسجد بعد أن دفن إلى جواره لأن المسجد كان اسمه مسجد الطائف فسمي به لقربه منه، وقد سمي كثير من مساجد رسول الله صلى الله عليه وسلّم بأسماء بعض الصحابة بالمدينة الشريفة وهو معروف، في حين أنهم لم يكونوا قد بنوها أصلا، وكذلك الحال بالنسبة لهذا المسجد'[12]، ويمكن أن نقيس على ذلك مسميات مساجد عديدة، تنسب إلى أناس على أنهم بنوها، وعند التحقيق يوجد أن الأمر على خلاف ذلك.

كما يعتبر مسجد أبي موسى الأشعري (ت8هـ) من الأمثلة على هذا النوع من التأثير في التسمية فقد شيّده هو نفسه بمدينة زبيد جنوب غربي اليمن، وكان له نشاط متميز في نشر العلوم الإسلامية داخل وخارج اليمن، ويعتبر من الناحية العمرانية من أعرق وأقدم المساجد لما يحتفظ به من معالم لم تتأثر بعمليات الترميم التي قد تُفقِد المقوِّمات العمرانية الأصيلة[13].

ويعرف في تاريخ دولة الأغالبة مسجد يدعى باسم مسجد **الجدة**، وذلك نسبة لإحدى الجدات في بني الأغلب التي بنته، وقد اتخذ فيما بعد عدّة أسماء وعرف بمسجد البارزي حينما سكن جواره أبو الحسن البارزي، ثم عرف أيضا بمسجد أبي عثمان بن سعيد بن خلفون الحساني نسبة إلى قصور حسان بمنطقة سرت[14]، وهذا يحيلنا أيضا إلى قضية تعدد أسماء المسجد الواحد نظرا لتعدد العوامل التفاعلية المؤثرة في تسميته، أو تغير الأسماء حسب تغير المعطيات تبعا للتاريخ وتعاقب الأجيال، فهذا مسجد التجار بمدينة درنة كانت له عدّة أسماء، فنسب لتجار سوق

الظلام الذين يقصدونه للصلاة، وعرف بالجامع الصغير لتميزه عن الجامع الكبير (العتيق) لا سيما وأن الآخر يقع في المنطقة نفسها، وسمّي أحيانا بمسجد الطشاني نسبة إلى إحدى الأسر القديمة القاطنة بمدينة درنة[15]، إلا أن هذا التعدد رغم قيمته الثقافية في إبراز تاريخ المسجد وقيمته، إلا أنه قد يخلق نوعا من الارتباك التواصلي نظرا لاختلاف المرجعية في تحديد التسمية، فإذا لم يكن هناك إلمام وإدراك جيدان بكون هذا المسجد متعدد الأسامي؛ فقد لا تتحد الرؤى في الحديث عنه أو عن بعض سماته ومميزاته، ولعل الوجه البارز في تعدّد أسامي المسجد الواحد يرجع إلى اختلاف وتعاقب الأجيال، فقد يعرف مسجد في جيل ما باسم معين ثمّ لا يلبث أن يتغير اسمه في الجيل اللاحق نظرا لاختلاف العوامل التفاعلية في إطلاق التسمية تبعا للظروف والأحوال الواقعية.

وسبقت الإشارة في عنصر سابق إلى مسجد الشّبانات بالصويرة، وهو مسجد يحظى كذلك في تسمية أخرى بتأثير عنصر الأشخاص والأعلام فيه، فقد عرف هذا المسجد باسم سيدي عبد الله أوعمر أو سيدي عبد الله بن عمر، وذلك نسبة إلى أحد رجال العلم والصلاح المرافقين للسلطان سيدي محمد بن عبد الله عندما عزم على بناء مدينة السويرة[16].

كما عرفت قضية التّسمية المتعلقة بالمسجد وإضافته إلى جهة معينة جدلا فقهيا بين التجويز والمنع؛ وذلك تبعا لاختلاف الاعتبار والبعد في الإطلاق، لكنّ الفيصل في ذلك هو النظر إلى الباعث من وراء التسمية وللمقصد من اختيار اسم بذاته لمسجد معيّن، ولقد فطن الإمام البخاري (256هـ) إلى دقة هذا الأمر فبوّب بابا ضمن صحيحه في هذه المسألة بصيغة الاستفهام، فقال: باب هل يقال مسجد بني فلان ثمّ ساق حديث عبد الله بن عمر المتقدّم[17] أي هل يجوز أن يضاف مسجد من المساجد إلى بانيها أو ملازم الصلاة فيها؟ والجمهور على الجواز والمخالف في ذلك إبراهيم النخعي فيما رواه ابن أبي شيبة عنه أنه كان يكره أن يقول مسجد بني فلان ... لقوله تعالى: "**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**" (سورة

الجن: الآية 18) والجواب أن الإضافة في هذه الآية تمييز لا ملك، والإضافة إلى الله تعالى في الآية على الحقيقة[18].

والذي ينبغي استحضاره في قضية التسمية بالأشخاص ألا تكون المبادرة إلى ذلك بشكل شخصي، أي ألَّا يعمد الباني إلى تسمية المسجد باسمه، لأن ذلك في الغالب يكون بدافع الرياء والسمعة، فيحبط عمله بهذا الصنيع، قال الإمام الزركشي (794هـ): 'ومن بنى مسجدا فكتب اسمه عليه فهو بعيد من الإخلاص، لأن المخلص يكتفي برؤية المعمول منه'[19].

ويلاحظ أن كثيرا من الناس توسعوا في قضية نسبة المساجد إلى غير الله وإضافتها إلى بناتها، فأصبح هذا الأمر مدخلا للتّباهي والتفاخر، فخرجوا بذلك عن الحدود التي رسمها رسول الله صلى الله عليه وسلّم للمساجد، حيث أعلن كراهيته لتباهي الناس فيها بل جعلها من أشراط الساعة[20]، فينبغي أن يُتعامل مع هذه القضية بمنطق الوسطية والاعتدال دون تساهل أو تشدّد، فينسب المسجد إلى الأشخاص؛ وذلك إذا كانت المصلحة تقتضي التسمية من باب التعريف أو التمييز، أما أن يصار هذا الأمر مدخلا للإشهار وتبريز الأسماء خاصة من ذوي الجاه، فإن ذلك يُخرج المسجد عن رسالته.

- **العنصر الثاني: العناصر التفاعلية في تحديد أنواع المساجد.**

يختلف الحديث عن أنواع المساجد حسب زاوية النظر إلى معيار تقسيم هذه المساجد، وبالتالي؛ فاعتبار عنصر المكان يفضي بنا إلى تقسيم خاص بالمساجد يختلف تماما عن التقسيم الذي ينطلق من اعتبار أنواع الصّلوات التي تؤدَّى في المسجد، أمّا اعتبار عنصر تنصيص الوحي؛ فإنه سيسفر لنا عن تقسيم آخر للمساجد مباين لما قبله، كما ان اعتبار عنصر الوصف أمر أساس في تحديد أنواع المسجد، فلا ينبغي إغفاله بالكلية.

فالغاية إذن من دراسة عنصر أنواع المساجد هي الوقوف على الجوانب التفاعلية لهذه الأنواع، واكتشاف مدى انخراط هذه الأنواع في الحياة العامّة للناس وإدراك مدى الحاجة إليها.

1-مسجد أو مصلى البيت:

وهذا المسجد خاصّ بالبيت وأهله ممن لا تجب عليهم صلوات الجماعة في المساجد من النّساء والأطفال وذوي الأعذار، كما هو خاص بأداء النوافل المنزلية، وذلك في حق من صلى في المسجد، حيث فضل النبي صلى الله عليه وسلم أداء النوافل في البيت على أدائها في المسجد فجاء في حديثه: **((قد عرفت الذي رأيت من صنيعكم، فصلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة))**[21]، والحكمة في اتخاذ هذا المصلى هي التطبيق الفعلي لشمولية العبادة لكل زمان ومكان، ولا شك أن في ذلك ردّا وتفنيدا لشبه المغرِّضين الذين يرون قصر العبادة على عنصر المكان أي المسجد، فلا مجال عندهم للحديث عن الدين وأمور الحلال والحرام خارج فضاء المسجد، كما أنه من المقاصد في اتخاذ هذا النوع من المسجد تحقيق شمولية البركة للبيت ومرافقه؛ وذلك من خلال ما يتلى فيه من ذكر وقرآن ودعاء، بالإضافة إلى طرد الشيطان منه باعتباره سببا في المشاكل والأحزان التي يعرفها البيت، ولذلك؛ نجد النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بقراءة القرآن في البيوت، خاصّة سورة البقرة لما لها من تأثير في إبعاد الشيطان عنها، فقال عليه الصلاة والسلام: **((لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة))**[22]، ولا شك أن الناس في حاجة ماسة إلى هذه المصلى لتحقيق هذا الغرض، لأن الجميع يريد بيتا سعيدا خاليا من المشاكل والهموم، وما الاضطرابات النفسية التي يعيشها كثير من الأفراد في أسرهم إلا نتاجا لبعدهم عن الممارسة التعبدية في مساجد البيوت.

ومن الأسرار التي يمكن إدراكها في مسجد البيت **التربية بالقدوة والتأثير بالفعل المباشر**، حيث يشاهد الصّغارُ آباءهم يؤدون الصلوات في هذه

الأمكنة، فيكون ذلك أدعى للتأثير فيهم من جانب القدوة الحسنة، ومع تكرار الفعل يترسخ في قلوبهم هذا الأمر فيسيرون على ذلك النهج متأثرين في ذات الوقت بالشخص والمكان معا، ولا شك أن تأثير التربية بالفعل أقوى وأبلغ من تأثير التربية بالقول، فكثير من أمور الدين أخذها الصحابة من الرسول عليه الصلاة والسلام من خلال مشاهدة أفعاله، وكان تأثيرها أبلغ مما لو صدرت قولا فقط، وصدق ربنا عز وجل في قوله: "**لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**" (سورة الأحزاب: الآية 21)، يقول الأستاذ عبد الرحمان المحلاوي في هذا الصدد: '**ولقد فطر الناس على افتقاد القدوة والبحث عن الأسوة، ليكون لهم نبراسا يضيء سبيل الحق، ومثالا حيا يبين لهم كيف يطبقون شريعة الله، لذلك لم يكن لرسالات الله من وسيلة لتحقيقها على الأرض إلا إرسال الرسل، يبينون للناس ما أنزل الله من شريعة**'[23]

ومن أسرار هذا النوع المسجدي وحكمه بيان أهمية الحرص على **الإخلاص وتنقية العمل الصالح** من شوائب الشرك وحبّ الظهور، فقد تعرض للمرء عوارض الرياء والشهوة الخفية خلال تأديته العبادة في المسجد أمام أنظار الناس، فيكون هذا المسجد البيتي ساترا لعلاقة هذا الإنسان بربه حيث لا يطلع عليها أحد غير أهل بيته الملازمين له في حياته.

كما أن هذا النوع من المسجد يكون أدعى لتمتّع المرء بنعمة الخلوة بربه والانفراد به في جو خاصّ، حيث يحصل له من الأنس به في هذا المكان من بيته والذي يرتاح فيه ويطمئن في جوّه، لكونه يتواجد تحت نفوذه وسلطته، فيتحصل هنالك من نسبة الخشوع والتدبر ما يفوق ما لو كان في غيره من الأمكنة.

2-مسجد الحي:

ويدعى المسجد غير الجامع أو المسجد المحلي، والتسمية الأولى أدقّ من حيث الإفصاح عن وظيفته وحدود نشاطه، ومسجد الحي هو النوع الأكثر انتشارا؛

بحيث قد يلزم لكل شارع مسجد غير جامع تبعا لكثافة السكان؛ خاصّة في المدينة الكبيرة المكتظة في كثافتها السكنية، ومن الواضح أنه لا تختلف وظيفته عن وظيفة المسجد الجامع إلا من ناحية الكم في الخدمات التي يؤديها المسجد لروادهم[24]، والهدف من هذا النوع من المساجد هو **التقريب والتسهيل**، أي: تقريب المؤسسة المسجدية وجعلها متاحة للناس؛ حتى يسهل عليهم التردد عليها وأداء العبادة فيها والاستفادة من خدماتها، غير أنه قد يلاحظ فيها نوع من التراجع في أداء خدماتها ووظائفها، خاصة في الدروس واحتضان الطلبة، ويحسن بي هنا أن أستشهد بكلام الأستاذ بلال ريم عن المساجد المحلية في الجزائر: 'والمساجد المحلية وهي الأكثر انتشارا في الجزائر، ولا تصنف ضمن السابقتين والأكثر قربا من المجتمع المحلي، غير أنها لا تؤدي وظيفتها كاملة من حلقات وجلسات إلا القليل وتقتصر الدروس على **الدرس الأسبوعي** فقط يوم الجمعة، ولا يتردد الطلبة عليها إلا نادرا ولم تعد تؤدي دورها التربوي كما عهدت عليه ويعود ذلك للتعليم المدرسي في المدارس وقلة الأئمة الفقهاء والخريجين من المعاهد'[25].

يصطلح على هذا النوع من المساجد في ليبيا الشقيقة **المسجد المتوسط والمسجد الخاص**، نظرا لحجمه الذي هو دون المسجد الجامع، ومن مميزاته أنه للصلاة أصالة، ويتلقى فيها الأطفال مبادئ القراءة والكتابة فضلا عن تحفيظهم القرآن الكريم[26]، وبالتالي؛ فمن المفترض في أنموذج مسجد الحي أن يؤدي خدمة التعليم الأولي ما قبل المدرسي بأن يسدَّ حاجات أطفال أهل الحي تعليميا وتربويا؛ خاصّة إذا كان هذا المسجد متوسط الحجم [27]، ويدلنا هذا الاصطلاح الليبي في التسمية على أن هناك ثلاثة أنواع من المساجد: كبير، متوسط وصغير، مع أننا قد نواجه إشكالات في التفرقة بين الصغير والمتوسط؛ نظرا لوجود مجموعة من التشابهات الشكلية والوظيفية بينهما، ونظرا كذلك لصعوبة وضع معايير كمية قياسية لأجرأة هذا النوع من التفريق.

ومسجد الحي –في غالب أحيانه–لا تؤدى به شعائر صلاة الجمعة، تماشيا مع الاصطلاح الفقهي في ذلك، لأنه سيصير بذلك يدعى مسجدا جامعا إذا صارت له هذه الوظيفة، إلا أن هناك من المساجد من يتحول إلى وصف المسجد الجامع بعد أن لم تكن له هذه الصفة في الماضي.

3–المسجد الجامع:

هو المسجد الكبير المُجمِّع في المدينة، والذي تؤدى فيه صلاة الجمعة ويجتمع فيه أعيان البلدة وكبراؤها، وكان في السابق يكون للمدينة مسجد جامع وحيد، فلما اتسعت الأرجاء وكثر العمران وازدادت الكثافة السكانية؛ تم اتخاذ أكثر من مسجد جامع في المدينة على حسب مقدار الحاجة إليه، وذلك من أجل أن يلبي حاجة أهل المدينة، ويعتبر المسجد الجامع نواة للمدينة[28]؛ حيث يقع في وسطها يتجمع حوله نسيجها، ويتم التخطيط له مسبقا بأن يكون كذلك، يقول الأستاذ رؤوف الأنصاري: 'يعتبر المسجد في عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم والذي بُوشِر ببنائه بدءا من العام الأول للهجرة أول تصميم هندسي بسيط أبدعه الإسلام، حيث تميز عن أماكن العبادة للديانات الأخرى في بنائه ودوره، وكانت ميزته الرئيسيّة أنه يشكل نواة بناء المدينة الإسلامية، حيث كان أول عمل يقوم به المسلمون بعد فتح بلد ما هو إنشاء المسجد الجامع'[29]، والجدير بالإشارة إلى أن المصمم لا ينبغي أن يتقيد ويلتزم بنسب معينة وأشكال نمطية حتى لا تصير تصميمات الجوامع تصميمات روتينية على نمط واحد[30]، بل ينبغي تنويعها من حيث المرافق والخدمات، ولا شك أن النظرة التنوعية لأنماط هذه المساجد لها من بعدها الجمالي الوظيفي ما يميز هذه المساجد ويجعلها عنصر جذب واهتمام.

والجامع نعت للمسجد، وإنما نعت بذلك لأنه علامة على اجتماع الناس، ولم يكن الصدر الأول يفردون كلمة الجامع في الإطلاق، وإنّما تارة يقتصرون على كلمة المسجد، وتارة يصفونه فيقولون المسجد الجامع، وتارة يضيفونها إلى الصفة مسجد الجامع، ثم تجوز الناس من بعد واقتصروا على الصفة، فقالوا للمسجد الكبير

وللذي تصلى فيه الجمعة وإن كان صغيرا **الجامع** لأنه يجمع الناس لوقت معلوم[31]، وغالبا ما كان يوجد للمدينة أو البلدة الواحدة مسجد جامع واحد، فيشكل بذلك محور ارتكازها، ويخطط لموقع بنائها في مكان يحج إليه الجميع فيكون قبلتهم الوحيدة يوم الجمعة، والمفترض في المسجد الجامع–خاصة إذا كان في البادية– أن يحوي العناصر الآتية: شرفة علوية للنساء –فناء واسع مكشوف يزرع ويتخذ للتوسعة يوم الجمعة ويضم دورات المياه–مركز طبي إذا كان المستشفى بعيدا–مركز خدمة اجتماعية–قاعة للاجتماعات وتشغل لعقد الزواج أو تقديم العزاء–مكتبة–فصل للتحفيظ ومحاربة الأمية[32]، مع أن كثيرا من الجوامع الحالية تفتقد لبعض العناصر السابقة، ولهذا ينعكس ذلك الخصاص على جانبها الوظيفي، مما يعطينا قناعة مفادها أن توفير التجهيزات والمرافق المادية في مؤسسة المسجد أمر ضروري في النهوض بنشاطه وعمله الوظيفي.

ما أروع أن تحل العناصر السابقة –والتي ينبغي أن يحرص على توفيرها في كل مسجد جامع–محل المقاهي ودور السينما والمسارح، فتجذب الناس إليها عوض أن يقضوا الكثير من أوقاتهم ضائعين مضيعين في المقاهي تاركين بيوتهم بغير رعاية ولا توجيه[33]، ولعلّ هذا الأمر يتطلب تخطيطا مسبقا ومدروسا يكشف الحاجات التي فيها خصاص كبير في الجوانب النفسية والاجتماعية، ويعمل على استغلال وتوظيف المتوفّر من الإمكانات لتحقيق الغاية المنشودة.

للمسجد الجامع بعد تفاعلي يتجلى في تحقيق وحدة الأمة وتجديد اللقاء بين أفرادها في مناسبات تعبدية منتظمة. وبناء علاقات الصلة والمحبة على أساس المصلحة الأخروية لا الدنيوية فقط، ولا شك أن هذا ينطلق من بنية تسميته بلفظ (الجامع) أي المجمِّع لكل ما تفرق، وبالتالي؛ فهو القلب النابض للمجتمع الإسلامي ومركز تحريك وتسيير الدولة الإسلامية، حيث يترجم الجوانب التطبيقية المباشرة لتعاليم الدين، يقول الأستاذ محمد ماجد عباس خلوصي: 'إن الجامع هو المحور الرئيسي للبيئة الإسلامية ليس فقط فضاء تأدية الصلاة بل هو المركز المعبر عن

روح الإسلام والرمز البصري والفيزيائي والاجتماعي للمجتمع الإسلامي والمسلمين، لقد ظهر أول مبنى مسجد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كنتيجة عملية مباشرة لتعاليم الإسلام في أداء فريضة الصلاة، لقد كانت أول الجوامع التي شيدت في صدر الإسلام مباني تعكس الوظيفة المباشرة"[34].

وقد تعرض للمسجد عوارض ذات طابع تاريخي أو وطني أو معماري، فيُصنَّف بذلك المسجد الجامع ضمن خانة المساجد الأثرية أو الوطنية، وذلك باختلاف زوايا النظر إليه وتغليب الجوانب الاعتبارية في الحكم عليه.

4-مسجد البادية:

وهو المؤسّسة الدينية الوحيدة التي تمثل الدين ضمن الوسط البدوي أو القروي، ويمكن الحديث في هذا النوع من المساجد عن قسمين منه، مسجد بدوي ناءٍ يقع خارج التجمع السكني في البادية، ومسجد بدوي في قلب التجمع السكني داخل القرية، ولا شك أن هذا الأخير يؤدي الوظائف المنتظرة منه أحسن مما هو عليه في القسم الأول، وذلك نظرا لسهولة التردد عليه وقربه من الساكنة الذين ينشطون سيره وحركيته، ويتحقق **النشاط الاجتماعي وأثره** للمسجد بشكل كبير جدا في البادية عكس المدينة، حيث إن هذه الأخيرة تعرف وجود عدد من المؤسسات التي يتحقق العمل الاجتماعي بها، ومن المظاهر الاجتماعية التي تميزه أنه يعتبر الملجأ والملاذ عند الحاجة، خاصة للغرباء الذين يحلّون ضيوفا ببلدة ما، فيكون ذلك إشارة إلى طلب الضيافة عند أهل البلدة، كما يشكل دارا للقضاء والفصل في الحكم بين المتنازعين، فنجد له سلطة في تقبل القرار الصادر منه في هذا الشأن، بل تتكلل مجالس هذا الغرض فيه بعقد المصالحات وفضّ النزاعات وتجديد التآخي والتآلف، وفيه تتم الدعوة إلى الطعام والولائم، حيث يحرص السكان في كل عيد جريا على تقاليدهم المتبعة أن يحملوا الطعام إلى المسجد ليأكلوا بشكل جماعي ويشاركهم فيه الكل وفق نظام يحرصون عليه أشد الحرص، ثم إن اجتماع أهل البادية في مسجدهم لا يخلو من تفاعلهم في إطار وحدوي يشكل فرصة للحديث عن أمور تخصُّ حياة السكان

من أمور الفلاحة والماشية ومناسبة للنظر في شؤون المسجد والقبيلة والحديث مع الفقيه في أمور تعليم الأبناء[35]، وغالبا ما يتفطَّن أهل البادية فيفصلون مكان الحديث عن هذه الأمور الدنيوية العامة عن مكان أداء العبادة في المسجد، لأنه يحظى بقدسية خاصة، وتنهى فيه عن جملة من الأمور التي يسمح بممارستها خارجه؛ والتي قد تصدر من الناس أثناء خوضهم في الحديث عن الأمور الدنيوية.

ولعل قوة هذا التفاعل القروي وتعلقه بهذه المؤسسة ليس منبعثا عن فراغ، بل لأن البادية لهم من التميز الديني وفطرة الميل إلى تعاليم هذه المؤسسة ما يشهد له التاريخ بجدارة رغم وجود شذوذات واقعية لا ينكرها عاقل، يقول العلامة ابن خلدون في هذا الصدد: 'بل نجد أهل الدّين قليلين في المدن والأمصار لما يعمّها من القساوة والغفلة المتّصلة بالإكثار من اللّحمان والأدم ولباب البرّ ويختصّ وجود العبّاد والزّهّاد لذلك بالمتقشّفين في غذائهم من أهل البوادي'[36].

ونجد في القرى ظاهرة تفاعلية جميلة تتجلى في توفر بعضها على المسجد الجامع الذي تؤمه القرى المجاورة –إمّا لأن هذه القرى لا تمتلك رخصة إقامة شعائر الجمعة فيه؛ وإما لأنه مسجد كبير يجتمع فيه الكل قصد توحيد المنطقة وجمع شملها–لأداء صلاة الجمعة وتلاوة كتاب الله والأذكار، وأثناء ذلك يحيط السكان زوارهم الضيوف بكل مظاهر الحفاوة والكرم، فيولمونهم بتقديم موائد الطعام[37]، ولا شك أن هذه المظاهر أصبحت تندثر في كثير من القرى بسبب دخول رياح الحضارة التي تنحو نحو المصلحة الفردية ولا تولي اهتماما بالضيف والبركة التي تحُلُّ على إثر قدومه، بل أصبح الكثير يتضجر من قدوم الضيف ويستثقل مجيئه.

يتميز مسجد الجمعة في البوادي الراقية الحاذقة بسعته وكثرة تجهيزاته وإمامه الذي يكون فقيها مبرزا، وغالبا ما يكون –في بعض المناطق التي تولي عناية كبرى لطلب العلم ودرجاته–طالبا حمزاويا أي يقرأ القرآن برواية حمزة، ويوصف بأنه ((مخلخل على دراعو)) أي: لا يبارى، خاصّة إذا عرفنا أن مسجد الخطبة لا يقام إلا في الدواوير كثيرة السكان لما يتطلبه من نفقات، فيصبح إمام المسجد مقصدا للطلبة،

ولذلك؛ فإنه يصعب الحصول على إمام من هذا النوع، وإذا وُجِد فإن الدوار يتمسك به ويرفع له قيمة الشرط كلما همّ بالمغادرة ويلقى من كثير العناية ما يفتقده زميله في مسجد الدوار الصغير[38]، ولعل هذه المظاهر تعتبر من المظاهر الإيجابية التي ينبغي أن نشيد بها في انتقاء الإمام وحرص الناس على ذوي الكفاءات فيمن يتقلدون مهام الصلاة والإمامة بالناس، لكننا نجد في المقابل من لا يتحرون في هذا الانتقاء ويسلسون إمامة الصلوات لكل من هبّ ودبّ، حتى أصبح أناس يقصون قصص أئمة سحرة أو مدخنين، ولا شك أن هذه الخوارم لا تستقيم وعظم مسؤولية الإمام المسجدي في أي نوع من المساجد كان.

ومن الخصائص المميزة لمسجد البادية والتي تعتبر نابعة من صميم العادات والأعراف الأصيلة لأهل البوادي المغربية **النوبة المسجدية**، أي: تناوب سكان القبيلة على الإطعام اليومي لإمام المسجد الذي فرغ وقته وجهده للصلاة بهم وتحفيظ أبنائهم، وهذه النوبة ينتظرها فقيه المسجد البدوي بفارغ الصبر لعلها تكون دسمة خاصة إذا كان يوم السوق، أو إذا حلّ هنالك ضيف على الذي وصلت إليه النوبة ويتوجب عليه إحضارها، وقد وردت في النّوبة طرائف كثيرة منها أن رجلا كان كلما رأى النوبة قادمة إلى الإمام ذهب إلى المسجد؛ فيجد الإمام شارعا في الأكل، فيستدعيه هذا الأخير إلى مشاركته، فيقول الأول: لقد أكلت في البيت، سأنقره فقط (سأذوق فقط)، إلا أنه يستمر في الأكل معه إلى النهاية، فذات يوم قال له الإمام بعد أن ردد عليه عبارة (سأنقره فقط): مرة أخرى لاحقة نقّر في بيتك، وكلْ هنا[39].

5-مسجد السوق والعمل:

وهذا النوع من المساجد تعتريه إشكالية التسمية أولا، ففي مجموعة من الأحيان إنما يطلق عليه اسم المسجد تجوُّزا، نظرا لعدم انطباق مجموعة من المواصفات والخصائص المسجدية عليه، ومثاله كأن يكون فضاء هذا المكان منفتحا غير مغلوق، فلا يمكن حينها أن نسميه مسجدا بالاصطلاح الفقهي عند أهل الشأن، يقول الأستاذ حمدا ولد التاه: 'وأمّا ما يتخذه الناس أمام مساكنهم ومتاجرهم من أسوار

يصلون فيها فتسقط تحيتها ما لم يتناولها الغلق، لأن من صفة المسجد أن يدخل بغير إذن وأن يكون جميع الناس فيه سواء بخلاف المحجورة، إذ لو كان يتم مسجدا بالتسمية لخرجت تلك الأماكن التي اتخذت في المساكن عن ملك أهلها"[40].

والحكمة في اتخاذ مسجد بمكان السوق الحرص على الذكر والعبادة في هذا المكان؛ والذي يعتبر من شر البقاع على الأرض نظرا لما يرتكب فيه من منكرات البيع والحلف بالكذب، بالإضافة إلى تقريب فرصة أداء الصلاة جماعة إلى الباعة والتجار، مع ما يصحب الأذان للصلاة فيه من تذكير للغافلين وطرد للشياطين، ويكون مسجد السوق فضاء عاريا متعارفا عليه؛ يجتمع فيه الناس عادة لغرض الصلاة ثم ينفضون فيما بعد، كما يمكن أن يكون مكانا مخصصا تم تشييده بالبناء والتسقيف فتؤدى فيه الصلاة، ويمكن أن يجلس فيه البعض بعد فراغهم من الصلاة قصد أخذ قسط وجيز من الراحة، خاصة أن أجواء السوق يصحبها التعب وقلة النوم للذين يأتون مسافرين أو متنقلين من أماكن بعيدة من أجل قضاء مآربهم بهذا المكان.

وفي إطار نفس النوع من المساجد؛ يمكن الحديث بنفس الصفة عن مسجد العمل، ومسجد السوق أو العمل كلاهما لا يعتبر من قبيل المساجد المنتظمة التي لها إمام راتب، فيمكن أن تؤدى فيه الصلاة جماعات متفرقة، يؤدونها الناس أرسالا، خاصة إذا كان هذا المسجد صغير الحجم ولا يتسع للجموع الغفيرة التي تأتي في نفس الآن.

و نجد كذلك قريبا من هذا النوع من المساجد ما يعرف بـ**قاعات الصلاة** أي تلك المساجد الصغيرة المتواجدة بفضاءات المحطات الطرقية، وتسميتها بقاعة الصلاة على هذه الطريقة ليس أمرا عبثيا؛ وإنما للدلالة على أنها مجرد أماكن مخصصة للصلاة فقط، وبالتالي؛ لا ينتظر منها ما ينتظر من مؤسسة المسجد في كامل تسميته أن تؤدي ما تضطلع به من وظائف متعددة، فهي تفتقد لكثير من الأمور التي نجدها في عامة المساجد.

6-مسجد العمارة أو الفندق:

يقصد به المسجد الذي يبنى في المسكن متعدد الطوابق والذي يتوفر على عدد مهمّ من القاطنين تختلف أحوالهم وظروفهم وعلاقتهم بالمسجد تردّدا وتعلّقا به، وقد يكون لهذا النوع من المساجد إمام راتب، كما قد لا يكون، فالأمر يختلف وليس هنالك ضابط يضبطه، ولعل مقصدية اتخاذ هذا النوع من المسجد تتجلى في تقريبه من السكان؛ وذلك إذا وُجدوا بمكان يبعد عن المسجد الذي يجتمع فيه الناس لأداء الصلوات الخمس؛ خاصّة مع مشقة التنقل من الشقق التي تقع في الطوابق بسبب الدرج أو انعدام المصاعد الكهربائية، وللعلماء جدل فقهي حول قضية البناء فوق المسجد أو تحته، أو فوقه وتحته معا، وخلاصة كلامهم الفقهي يمكن جمعه في أربعة أقوال[41]:

القول الأول: جواز البناء فوق المسجد أو تحته أو فوقه وتحته معا.

يقول الأستاذ إبراهيم بن صالح الخضيري: 'لا أعلم دليلا قطعيا من الشرع ولا ظنيا يمنع من بناء المسجد وتحته أو فوقه بناء، وما أورده العلماء الكرام رحمهم الله إنما هي تعليلات لا دليل عليها، وأما انفكاكه عن الاختصاص فهو راجع للعرف، وهذا يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة. وفي زماننا هذا إقامة المساجد بالعمائر الضخمة أمر تدعو إليه الحاجة، وهكذا في المصانع والدوائر الحكومية التي هي في العمائر الكبيرة، وأما إن أمكن الاستقلال ببناء المسجد فهو أولى وأفضل، وإن لم يمكن فجاز، وأقترح تكليف أصحاب العمائر الضخمة بتخصيص جزء في أسفل العمارة يكون مسجدا يستفيد منه أصحاب الحوانيت والمشاة '[42].

القول الثاني: جواز البناء فوق المسجد لا تحته، وهذا مروي في مذهب أبي حنيفة، قال أحمد بن عبد العزيز البخاري (616هـ): 'في «الحاوي» وفي «المنتقى»: إذا بنى الرجل مسجداً وبنى فوقه غرفة وهو في يده فله ذلك، وإن كان حين بناه خلى بينه وبين الناس ثم جاء بعد ذلك بنى لا يترك'[43].

القول الثالث: جواز البناء تحت المسجد لا فوقه، وهو مذهب الإمام مالك (179هـ) الذي يقول: 'ومن بنى مسجدًا وبنى فوقه بيتًا يرتفق به فلا يعجبني ذلك، لأنه يصير مسكنًا يجامع فيه ويأكل. وقد كان عمر بن عبد العزيز إمام هدى وكان يبيت فوق ظهر المسجد، –مسجد النبي صلى الله عليه وسلم–فلا تقربه فيه امرأة، ثم قال: وجائز أن يكون البيت تحت المسجد، ويورث البنيان الذي تحت المسجد، ولا يورث المسجد إذا كان صاحبه قد أباحه للناس، قال ابن القاسم: وإنما هو حبس من الأحباس'[44].

القول الرابع: عدم جواز البناء لا فوق المسجد ولا تحته، وبه قال ابن حزم الظاهري (456هـ): ' وَلَا يَحِلُّ بِنَاءُ مَسْجِدٍ عَلَيْهِ بَيْتٌ مُتَمَلَّكٌ لَيْسَ مِنْ الْمَسْجِدِ، وَلَا بِنَاءُ مَسْجِدٍ تَحْتَهُ بَيْتٌ مُتَمَلَّكٌ لَيْسَ مِنْهُ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ مَسْجِدًا'[45].

لعل ما دفع الفقهاء إلى القول بالمنع هو إعمال قاعدة الاحتياط وسد الذريعة صيانة للمسجد وحماية له، وقد يكون لاعتبار الواقع أثر في صدور هذه الفتاوى، إذ الأخبار متواترة على أن انتشار البيوت ذات الطوابق إنما يكون مع تقدم الزمان واقتراب الساعة، فلم يكن هذا الظرف متوفرا على الشكل الذي هو عليه الآن، ثم إن المتأمل في واقع السكنيات ذات الطوابق يرى البعد الاحترازي الذي من أجله جنح هؤلاء الفقهاء إلى القول بالمنع، حيث إن ذريعتهم في ذلك ألا تكون هناك مباشرة للنساء فوقه أو تحته، أو شيء من قضاء الحاجة فيها، مع أن مراعاة جانب المصلحة في اتخاذ المسجد في هذا المكان يبقى قويا وأحرى في الاعتبار من التخوفات التي قد تكتنف هذه المسألة–والله أعلم–.

يقول الدكتور سعيد حوّى: 'وقد ترخص بعض العلماء في هذه الشؤون لمصلحة الناس والمسجد، والأحوط ألّا يكون ذلك وخاصة في المساجد القديمة التي يعاد بناؤها، فمثل هذه لا ينبغي أن يبنى فوقها أو تحتها إلا ما هو مسجد مراعاة لشرط الواقف'[46].

ويعتبر الكلام عن مسجد العمارة وما يتعلق به من خصوصيات نظيرا للكلام عن مسجد الفندق، نظرا لوجود عدد من القواسم المشتركة بينهما، بل يكاد يكون هنالك تطابق نوعي، إذ إن الفندق ليس سوى مساكن صغرى أو غرفا معزولة متفرقة ضمن طوابق، إلا أن مسجد الفندق لا نجد له إماما راتبا للصلوات الخمس.

7-مسجد المدرسة:

وهو المسجد الذي يلازم كل مدرسة، يختلف حجمه حسب الإمكانات المتاحة لتشيده، وقد يتم تخصيص غرفة أو قاعة لهذا المرفق، إلا أنه لا بد من العمل على إيجاده وتوفره، لأن له بعدا تربويا مميزا، كما أنه يسهل التطبيق العملي السلوكي لما يتلقاه التلاميذ من دروس في المواد الإسلامية، ويمكن التلاميذ من المواظبة على شعيرة الصلاة سواء بلغوا سن الوجوب أم لم يبغوه بعد، إذ إن حضور هذا المسجد داخل المؤسسة التربوية يحقق مقصد التذكير والتذكر لأن التلميذ في صلة تفاعلية دائمة مع جميع مرافق المؤسسة التي يعيش فيهان كما أنه يحقق مقصد الترسيخ والتثبيت النظامي السلوكي، بحيث لا نجد صعوبة في هذا التثبيت إذا كبُر هؤلاء التلاميذ، وفي هذا يقول الأستاذ عاطف السيد في بيان جملة نصائح ومقومات ينبغي توفرها في معلم التربية الإسلامية داخل المدارس، ومنها: 'أن يشارك تلاميذه النشاطات التربوية التي يمارسونها حتى يستطيع أن يوطد أواصر المحبة والمودة بينه وبين تلاميذه. ويمكن أن يشترك المعلم في المناسبات الدينية، وأن يلقي بعض الأحاديث من خلال إذاعة المدرسة المحلية، وأن يؤدي الصلوات مع تلاميذه في مسجد المدرسة، وأن يشاركهم الزيارات إلى الأماكن الدينية' التربية[47].

- **خاتمة:**

من خلال كلمات هذا المقال في عنصريه؛ يمكن الخروج بمجموعة من النتائج العملية ، أجملها وأوجزها في ما يلي:

–تحكم قضية تسمية المساجد اعتبارات تفاعلية عدة، تتغير بتغير الظروف وبتغير عنصري المكان والزمان، بل حتى بتغير الأعراف والعادات التي تحكم المجتمع الإسلامي وتتغير تبعا لتغير الأوضاع التي يعيشها المجتمع.

–إن عنصر تسمية المسجد جزء لا يتجزأ من الثقافة المسجدية الأصيلة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بهذه المعلمة، وهي دائما تخفي وراءها أسرارا مشوقة أو سرا إشعاعيا ذا صلة وظيفية مع هذه المؤسسة.

–إن عنصر التاريخ عنصر حاضر بقوة في تسمية المساجد، ولعل هذا الأمر جلي حتى في حالة ترميم أو هدم تلك المساجد، إذ تظل تحمل نفس الإسم لقوة هذا الاعتبار التفاعلي في تسميتها منذ أول وهلة.

–لا بد في قضية تسمية المسجد من المزاوجة بين الاعتبار التفاعلي في التسمية مع النظر إلى الاعتبار الشرعي في إطلاق تلك التسمية؛ وذلك تجنبا للوقوع في أمر محظور من حيث لا يدرى.

–تنوع أنواع المساجد في المجتمع الإسلامي دليل واضح ومؤشر بارز على أن هذه المؤسسة تقع في قلب الاهتمام في حياة الأفراد والجماعات.

–إن تغير أو تطور المجتمع الإسلامي مع مرور الزمن لا يتنافى مع ظهور أنواع أخرى جديدة للمسجد، ولا يلغي هذه الظاهرة، ما دام الترابط الوظيفي والرسالة المقصدية حاضرين في عمل هذه المؤسسة ضمن تنوعها الحديث وفي شكلها المعاصر، وهكذا؛ يمكننا الحديث عن مسجد الباخرة مثلا، ومسجد الأسواق العصرية الممتازة.....

–كلما زادت وتنوعت الأنشطة والإشعاعات التفاعلية لنوع ما من أنواع المساجد؛ حظي هذا النوع بالبروز واستأثر بالاهتمام ملاحظة ودراسة وتأثيرا وانجذابا نحوه (مسجد البادية على سبيل التمثيل).

-إن البعدين التربوي والاجتماعي حاضران بقوة ولهما اعتبار فعال في تصنيف أنواع المساجد داخل المنظومة الإسلامية.

- **قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في المقال:**

1-القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

-الكتب في شتى المجالات:

2-أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية: إبراهيم بن صالح الخضيري، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1419هـ.

3-إعلام الساجد بأحكام المساجد: محمد الزركشي (794هـ)، تحقيق: مصطفى المراغي، مطابع الأهرام، القاهرة، مصر، 1431هـ / 2010م.

4-الأساس في السنة وفقهها-العبادات في الإسلام-: سعيد حوّى (1409هـ)، دار السلام، بدون بلد، ط1، 1414هـ/ 1994م.

5-أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع: عبد الرحمان النحلاوي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط25، 2007م.

5-التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها: عاطف السيد، بدون بيانات، المكتبة الشاملة.

6-ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: ابن خلدون، تحقيق: خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1988م.

7-الجامع لمسائل المدونة: أبو بكر التميمي الصقلي (451هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1434هـ/ 2013م.

8-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (256هـ)، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

9-زاد المتعبد في أحكام وآداب المسجد: حمدا ولد التاه، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1424هـ/ 2003م.
10-شذرات من تاريخ المسجد الأعظم بآسفي: كريدية إبراهيم، دار وليلي، مراكش، المغرب، ط1، 2005م.
11-علم الاجتماع الحضري-المفاهيم والقضايا والمشكلات-: سعيد ناصف، دار الكتب والوثائق القومية، عين شمس، ط1، 2006م.
12-عمارة المساجد-تصميم وتاريخ وطراز وعناصر-: محمد ماجد عباس خلوصي، مطابع سجل العرب، بدون بلد، 1998م.
13-عمارة المساجد-دراسة في تاريخ عمارة المسجد خلال العهود الإسلامية-: رؤوف الأنصاري، دار النبوغ، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/ 1996م.
14-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: جار الله الزمخشري (538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.
15-مدينة موكادور-السويرة (دراسة تاريخية وأثرية): مينة المغاري، دار أبي رقراق، الرباط، المغرب، ط1، 2006م.
16-المحلى بالآثار: أبو محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري (456هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، بدون طبعة ولا تاريخ.
17-المحيط البرهاني في الفقه النعماني: أحمد بن عبد العزيز البخاري (616هـ)، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/ 2004م.
18-المساجد الأثرية في المدينة النبوية: محمد إلياس عبد الغني، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط2، 1419هـ /1999م.
19-مساجد في السيرة النبوية: سعاد ماهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م.
20-المساجد في المدن العربية: المعهد العربي لإنماء المدن، وزارة الإعلام، 1410هـ/ 1990م.

21-مساجد مدينة درنة (دراسة أثرية): فتح الله محمد أبو عزة، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2012م.
22-مساجد صنعاء (عامرها وموفيها): محمد بن أحمد الحجري، إصدار وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، اليمن، 1425هـ/ 2004م.
23-المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي: علي عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، مصر، بدون طبعة، 1976م.
24-المسجد وترسيخ الفكر الوحدوي بالمغرب: محمد أمراني علوي، مطبعة الودغيريون، الرشيدية، المغرب، ط1، 2012م.
25-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم): مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

-المجلات والدوريات الورقية وأعمال المؤتمرات:

26-أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، زليطن، ليبيا، 1992م، مقال: دور المسجد في إثراء الحياة الفكرية بولاية طرابلس الغرب خلال الحكم العثماني/ محمد الطوير.
27-التراث الشعبي، بغداد، العراق، العدد 9، السنة 9، دار الحرية، 1398هـ/ 1978م، مقال: مساجد البادية المغربية/ ذ.كرم إدريس.
28-دراسات تاريخية، إصدار: بيت الحكمة، بغداد، العراق، طبعة: مؤسسة ثائر العصامي، 1999، العدد: 36، السنة: 12، 1434هـ / 2013م، مقال: أهم المساجد والمدارس الحفصية ودورها الفكري والتعليمي في المغرب العربي/ علي عطية شرقي.
29-دعوة الحق، عدد308، مارس1995، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، السنة 36، مقال: مساجد تطوان العتيقة وعناية الملوك العلويين بها، إسماعيل الخطيب.
30-المنهل، عدد جمادى1، 1356هـ / 1937م، جدّة، المملكة العربية السعودية، العدد: 629، مقال: المسجد موضوعا شعريا، فريد أمعضشو، المغرب.

31-الناصرية، جامعة معسكر، الجزائر، العدد 2، يونيو 2012، دار الرشاد، مقال: الدور التربوي للمؤسسات الدينية قبل وبعد الاستعمار الفرنسي (المساجد والكنائس)/ ذ بلال ريم.

- **الهوامش:**

[1]الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: جار الله الزمخشري (538هـ)، ج1/ ص202، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.

[2]صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، رقم: 399، ج1/ ص80.

[3]مساجد في السيرة النبوية: سعاد ماهر، ص27، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م.

[4]المساجد الأثرية في المدينة النبوية: محمد إلياس عبد الغني، ص64، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط2، 1419هـ /1999م.

[5]صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، رقم: 2890، ج4/ ص2216.

[6]مجلة دعوة الحق: عدد308، مارس1995، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، السنة 36، مقال: مساجد تطوان العتيقة وعناية الملوك العلويين بها، إسماعيل الخطيب، ص98/ ص102.

[7]مدينة موكادور–السويرة (دراسة تاريخية وأثرية): مينة المغاري، ص231، دار أبي رقراق، الرباط، المغرب، ط1، 2006م.

[8]إعلام الساجد بأحكام المساجد: محمد الزركشي (794هـ)، ص384/ 385، تحقيق: مصطفى المراغي، مطابع الأهرام، القاهرة، مصر، 1431هـ / 2010م.

[9]مجلة دراسات تاريخية، إصدار: بيت الحكمة، بغداد، العراق، طبعة: مؤسسة ثائر العصامي، 1999، عدد 36، سنة: 12، 1434هـ / 2013م، مقال: أهم المساجد والمدارس الحفصية ودورها الفكري والتعليمي في المغرب العربي، علي عطية شرقي.

[10]المنهل: عدد جمادى1، 1356هـ / 1937م، جدّة، المملكة العربية السعودية، العدد: 629، مقال: المسجد موضوعا شعريا، فريد أمعضشو، المغرب، ص94.

[11]مساجد في السيرة النبوية: سعاد ماهر، ص60/ 63.

[12]المنهل: عدد جمادى1، 1356هـ / 1937م، جدّة، المملكة العربية السعودية، العدد: 629، مقال: المسجد موضوعا شعريا، فريد أمعضشو، المغرب، ص98.

[13]عمارة المساجد –دراسة في تاريخ عمارة مساجد العهود الإسلامية –: رؤوف الأنصاري، ص31، دار النبوغ، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/ 1996م.

[14]أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا، زليطن، 1992، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، مقال: دور المسجد في إثراء الحياة الفكرية بولاية طرابلس الغرب خلال الحكم العثماني: محمد الطوير، ص501.

[15]مساجد مدينة درنة (دراسة أثرية): فتح الله محمد أبو عزة، ص99، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2012م.

[16]مدينة موكادور–السويرة (دراسة تاريخية وأثرية): مينة المغاري، ص231.

[17]الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (256ه)، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422ه، كتاب الصلاة، باب هل يقال مسجد بني فلان؟، رقم:420، ج1/ ص91.

[18]زاد المتعبد في أحكام وآداب المسجد: حمدا ولد التاه، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1424ه/ 2003م.

[19]إعلام الساجد بأحكام المساجد: ص37.

[20]المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي: علي عبد الحليم محمود، ص95 بتصرف.

[21]صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب صلاة الليل، رقم: 731، ج1/ ص147.

[22]صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في البيت، رقم: 780، ج1/ ص539.

[23]أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع: عبد الرحمان النحلاوي، ص205، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط25، 2007م.

[24]عمارة المساجد–تصميم وتاريخ وطراز وعناصر–محمد ماجد عباس خلوصي، ص39، مطابع سجل العرب، 1998م.

[25]مقال: الدور التربوي للمؤسسات الدينية قبل وبعد الاستعمار الفرنسي (المساجد والكنائس)، ذ بلال ريم، ص169، مجلة الناصرية، جامعة معسكر، الجزائر، العدد 2، يونيو 2012، دار الرشاد.

[26]مقال: دور المسجد في إثراء الحياة الفكرية بولاية طرابلس الغرب خلال الحكم العثماني، محمد الطوير، من: أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، زليطن، ليبيا، 1992م.

[27]سيأتي التفصيل في هذا الصدد خلال الحديث لاحقا عن الكتاب القرآني والمسجد.

[28]يعتبر مفهوم المدينة من المفاهيم الإشكالية، والتي يصعب تحديد مفهومها باعتماد المؤشر الإحصائي المستند على عدد السكان، لأنه لا يمكن الحسم في اعتبار عدد معين كمؤشر لتصنيف تجمع حضري معين ضمن خانة المدينة (علم الاجتماع الحضري–المفاهيم والقضايا والمشكلات–:

سعيد ناصف، دار الكتب والوثائق القومية، عين شمس، ط1، 2006م، ص24/23بتصرف)، والأمر نفسه يمكن نقله إلى إطار الحديث عن المسدجد الجامع بالنظر إلى أعداد المتوافدين عليه.

[29]عمارة المساجد–دراسة في تاريخ عمارة المسجد خلال العهود الإسلامية–: رؤوف الأنصاري، ص25، دار النبوغ، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/ 1996م.

[30]المساجد في المدن العربية: المعهد العربي لإنماء المدن، ص167، وزارة الإعلام، 1410هـ/ 1990م.

[31]مساجد صنعاء (عامرها وموفيها): محمد بن أحمد الحجري، ص36، إصدار وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، اليمن، 1425هـ/ 2004م.

[32]عمارة المساجد–تصميم وتاريخ وطراز وعناصر–: ص37.

[33]المرجع السابق: ص39.

[34]عمارة المساجد–تصميم وتاريخ وطراز وعناصر–: محمد ماجد عباس خلوصي، ص17 بتصرف، مطابع سجل العرب، بدون بلد، 1998م.

[35]المسجد وترسيخ الفكر الوحدوي بالمغرب: محمد أمراني علوي، ص59/56 بتصرف كبير، مطبعة الودغيريون، الرشيدية، المغرب، ط1، 2012م.

[36]ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: ابن خلدون، ج1/ ص111، تحقيق: خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1988م.

[37]شذرات من تاريخ المسجد الأعظم بآسفي: كريدية إبراهيم، ص85، دار وليلي، مراكش، المغرب، ط1، 2005م.

[38]مقال: مساجد البادية المغربية/ ذ.كرم إدريس، ص155، من مجلة التراث الشعبي، بغداد، العراق، العدد 9، السنة 9، دار الحرية، 1398هـ/ 1978م.

[39]مقال: مساجد البادية المغربية/ ذ.كرم إدريس، ص167.

[40]زاد المتعبد في أحكام وآداب المسجد: حمدا ولد التاه، ص162، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1424هـ/ 2003م.

[41]هذا التقسيم الرباعي بهذا الشكل ذكره الأستاذ إبراهيم بن صالح الخضيري في كتابه (أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1419هـ) وهو تقسيم منهجي جيد يراعي المقارنة الثنائية بين الفوقية والتحتية في البناء دونما الإغراق في روايات المذاهب المختلفة، إلا أن صاحب الكتاب لم يراع فيه بالشكل الدقيق العزو الكامل إلى المصادر والمراجع المتخصصة، وذلك في شقه البيبليوغرافي كما ينبغي في البحوث العلمية.

[42]أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية: ص17.

[43]المحيط البرهاني في الفقه النعماني: أحمد بن عبد العزيز البخاري (616هـ)، ج6/ ص207، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/ 2004م.

[44]الجامع لمسائل المدونة: أبو بكر التميمي الصقلي (451هـ)، ج2/ ص645، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1434هـ/ 2013م.

[45]المحلى بالآثار: أبو محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري (456هـ)، ج3/ ص168، دار الفكر، بيروت، لبنان، بدون طبعة ولا تاريخ.

[46]الأساس في السنة وفقهها–العبادات في الإسلام–: سعيد حوّى (1409هـ)، ج2/ ص956، دار السلام، بدون بلد، ط1، 1414هـ/ 1994م.

[47]التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها: عاطف السيد، ص164/163، بدون بيانات، المكتبة الشاملة.